عقلا يفني عمره في طلب القليل من الدنيا ولا يتيسر له ذلك ونرى اجلف الخلق
واقلهم عقلا وفهما فتفتح له ابواب الدنيا فكل شي خطر بباله او دار في
خياله فانه يحصل له بسهولة ولو كان السبب في ذلك هو جهل الانسان وعقله
لوجب ان يكون الاعقل الاعقل افضل في هذه الاحوال فلما راينا ان الاعقل
اقل نصيبا وان الاجهل الاخس اوفر نصيبا علمنا ان ذلك بقسمة القسام كما بسبب قسمة
قال تعالى اهم يقسمون رحمت ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة
الدنيا فاتقوا الله واجملوا في طلب الرزق واقبلوا في جميع قلوبكم على ما ينفعكم
من الاستبصار وانشد سفيان بن عيينة يقول

كم من قوي قوي في تقلبه * مهذب الراي عنه الرزق منحرف
ومن ضعيف ضعيف العقل مختلط * كانه من خليج البحر يغترف

وحكى ان سليمان المهلبي ارسل الى الخليل بن احمد بمائة الف درهم
فردها الخليل وكتب اليه هذه الابيات

ابلغ سليمان اني عنه في سعة * وفي غنى غير اني لست ذا مال
سخي بنفسي اني لا ارى احدا * يموت جوعا ولا يبقى على حال
فالعجز عن قدرها الحرص ينقصه * ولا يزيدك فيه حول محتال
والفقر في النفس لا في المال نعرفه * ومثل ذاك الغنى في النفس لا المال

وقال الشافعي رحمه الله تعالى

ومن الدليل على القضا وكونه * بوس اللبيب وطيب عيش الاحمق

تنبيه هذا التفاوت ليس مختصا بالمال بل هو حاصل في الذكا والبلادة
والحسن والقبح والعقل والحمق والصحة والسقم والاسم الحسن
والاسم القبيح وهذا بحر لا ساحل له قال الرازي وقد كنت مصاحبا
لبعض الملوك في بعض الاسفار وكان ذلك الملك كثير المال والجاه فكانت
الجنايب الكثيرة تقاد بين يديه وما كان يمكنه ركوب واحد منها وربما
احضرت الاطعمة الشهية والفواكه الكثيرة العطرة عنده وما كان يمكنه
ان يتناول شيا منها وكان من الفقرا من هو صحيح المزاج وقوي البنية
كامل القوة وما كان يجد ملا بطنه طعاما فذلك الملك وان كان هذا الفقير
في المال الا ان هذا الفقير كان يفضل ذلك على الملك والصحة والقوة
وهذا باب واسع اذا اعتبره الانسان عظم تعجبه فيه فنسال الله تعالى
ان يغنينا من فضله وان يرضينا بما قسم لنا انه كريم جواد ثم ضرب
الله تعالى مثلا للذين جعلوا لله شركا بقوله تعالى فما الذين فضلوا اي
في الرزق وهم الموالي برادي رزقهم على ما ملكت ايمانهم اي بجاعل ما
رزقناهم من الاموال وغيرها بينهم وبين مماليكهم من عبيدهم وامائهم
فهم اي المماليك والموالي فيه سواء اي شركا يقول الله تعالى هم لا يرضون

ان يكونوا

ان يكونوا هم ومماليكهم فيما رزقناهم سوا فكيف يجعلون بعض عبيدي شركاءي
في ملكي وسلطاني وقيل معنى الاية ان الموالي والمماليك الله رازقهم جميعا فهم في
رزقه سوا فلا يحسبن الموالي يردون ارزاقهم على مماليكهم من عند انفسهم
بل انما رزق الله اجراه على ايدي الموالي للمماليك والمقصود منه بيان ان الله الرزاق
هو الله تعالى لجميع خلقه وان الموالي والمماليك في ذلك الرزق سوا وان المالك
ذلك لا يرزق المملوك وانما ذلك رزق اجريته اليهم على ايديهم فالرازق للمالك
والمملوك هو الله تعالى ولما قرر سبحانه وتعالى هذه الدلايل وبينها واظهرها
بحيث يفهمها كل عاقل كان ذلك انعاما عظيما منه على الخلق فعند هذا قال
افبنعمة الله في تقدير هذه البيانات وايضاح هذه البينات يجحدون
اي يكفرون وفي ذلك انكار على المشركين حيث تجحد وانعمه وعبدوا غيره
وجعلوا له شركا يضيفون اليهم بعض ما انعم به عليهم فيسوون بينهم
وبينه في ذلك وقرا شعبة بالتا على الخطاب والباقون باليا على الغيب ثم انه
تعالى ذكر نوعا اخر من احوال الناس ليستدل به على وجود الاله المختار
الحكيم وتنبيها على انعام الله تعالى على عبيده بمثل هذه النعم بقوله تعالى
والله اي الذي له تمام القدرة وكمال العلم جعل لكم من انفسكم اي
من جنسكم لتتناسلوا بها ولتكون اولادكم مثلكم فخلق حوا من ضلع ادم
وساير النسا من نطف الرجال والنسا فهو خطاب عام فتخصيصه بادم
وحوا فقط خلاف الدليل والمعنى انه تعالى خلق النسا ليتزوج بهن الذكور
ومعنى من انفسكم كقوله تعالى فاقتلوا انفسكم فسلموا على انفسكم
اي بعضكم بعضا وقوله تعالى ومن اياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا
ع وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة والحفدة جمع حافد وهو المسرع
بالخدمة المسارع الى الطاعة ومنه قول القانت واليك نسعى ونحفد
اي نسرع الى طاعتك هذا اصله في اللغة واختلف فيه اقوال المفسرين
فقال ابن مسعود والنخعي الحفدة اختان الرجل على بناته وعن ابن مسعود انهم
اصهاره فهو بمعنى الاول وعلى هذا يكون معنى الاية وجعل لكم من انفسكم
ازواجكم بنين وبنات تزوجوهن فيحصل لكم بسببهن الاختان والاصهار
وقال الحسن وعكرمة والضحاك هم الخدم وقال مجاهد هم الاعوان وكل من
اعانك فهو حفدك وقال عطا هم ولد الرجل الذين يعينونه او يخدمونه وقال
الكلبي ومقاتل البنين هم الصغار والحفدة كبار الاولاد الذين يعينون الرجل
الذين ليسوا منه اي اولاد المراة من الزوج الاول قال الرازي والاولى دخول
الكل فيه لان اللفظ محتمل للكل بحسب المعنى المشترك قال الزمخشري
ويجوز ان يراد بالحفدة البنون انفسهم كانه قيل جعل لكم منهن اولادا
هم بنون وهم حافدون اي جامعون بين الامرين او ومع هذا فالمشهور

Copyright © King Saud University